



اعتصام حمص التاريخي

بضعة عساكر وبعض الضباط قرب مدرسة المثني مقابل مركز باب التدريب الصحي ومن جهة باب السباع تحتشد مجموعات من الشباب الثائر في ساحة المريجة و يبدو شارع باب الدريب مقفراً إلا من بعض المارة . كان كل شيء يوحى بأن 17-4-2011 الذكرى الخامسة والستين للجلاء مختلفة عما سبقها. ساعة مضت و غطى صوت الرصاص و دوي الانفجارات كل ما عداه و انتشرت (اللجان الشعبية) و تقطعت أوصال مدينتنا بالحواجز الأهلية وسط غياب للأجهزة الأمنية و ساد جو من الفوضى و الهستيريا غير المسبوقة في تاريخ مدينتنا و حياتنا .

توقفت حركة السير . صعدت في باص النقل الداخلي خط-الجامعة-بولمان. كنا راكبين و السائق نتبادل النظرات و الخوف, نزلت على موقف المشفى الوطني وسرت بجانب جامع خالد بن الوليد شرقا اسمع خطواتي و دقات قلبي مروراً بوادي السايح حيث كان الجرحى ينقلون إلى مشفى القدس و على باب تدمر يقف بعض الشباب يغلقون الشارع الواصل بين باب تدمر و جامع كعب الأحبار تقدم مني شابان و طلبا هويتي الشخصية في نفس اللحظة انكسر زجاج موقف الباص و انكسر قلبي . كان العشرات يحتشدون شرقا يفصل بينهما مشفى نزيه إبراهيم .

قلت للشابين ذلك البيت الذي يتربع على سور حمص القديمة هو لآل الهامش وتلك ورشة رفيقنا بشار الهامش و هذه محلات و منازل آل مراد.

اعتذر مني الشابين و سلكت طريقي شرقا دامي القلب حزين

لم تتم مدينة حمص و لم أتم.

في صباح 18-4 رن هاتفي مرات عدة تتسابق الفضائيات للحصول على سبق صحفي و عند الظهر كانت الجنازات محمولة على الأكف و الأكتاف كانت حمص تودع شهداءها جنازات تتجه نحو مقبرة الكتيب مقابل باب تدمر و جنازات أخرى تتحرك من الزهراء إلى مقبرة الفردوس على طريق زيدل.

كان قلبي منقسماً بينها نصفين, ضاع صوتي وسط المشيعين و أخذت أنادي على BBC على المحطة, فانقطع الطريق على من يريد أن يزرع في مدينتنا الموت و لنوقف محاولات هتك نسيجنا الوطني و الاجتماعي. كانت الهتافات تملأ من كلا الجانبين (بالروح بالدم نفديك يا شهيد) عاد المشيعون من مقبرة باب تدمر إلى ساحة حمص الجديدة. حاول البعض نقل الاعتصام إلى ساحة جامع خالد بن الوليد فتدخل الأستاذ نجاتي طيارة قانلاً : من يريد أن يذهب إلى جامع خالد بن الوليد فليذهب أما نحن فباقون هنا ساحة جمال عبد الناصر. ساحة الساعة الجديدة رمز حمص ساحة الحرية.

ساعات قليلة كانت ملامح الاعتصام تكتمل (المنصة , الميكرفون , و خزانات المياه, الخيام , السندوتش) و تناوب الخطباء من كل أبناء حمص و نسيجها الوطني ساعات لم نعهدها و هتافات للحرية. فاضت الساحة و فاض شارع القوتلي الواصل بين الساعتين بالبشر المعتمدين و المتفرجين. من كل الأعمار. كانت الهواتف تأتي من كل أنحاء سوريا تهنيئاً و تطمئن وكذلك الفضائيات تتصل من كل الجهات و بشتى اللغات و كان الجواب الأصعب حول مصير الاعتصام و موقف السلطة منه. كنت أقول نأمل أن تتعامل السلطة مع مدينتنا الجريحة و مطالبنا بشكل حضاري بعيداً عن المعالجة الأمنية و أن السلطة التي تستجيب لمطالب شعبها ليست ضعيفة.

كان العشرات يبكون و كنت أبكي و كانت سيارة الأمن المرافقة لتحركاتي تنتقل حيث انتقل إلى الانشاءات و القصور و جورة الشياح .

كنت امشي في الهواء و أثبت كلماتي عبر الأثير إلى شتى الجهات و كل المحافظات السورية و جاء من يقول هذا الاعتصام ممنوع !! و آخر مهلة له الساعة الثانية عشر ليلا و طلب مني التدخل. كانت المفاوضات تجري بين ضابط الأمن و بعض رجال الدين و جرى تمديد لحظة الصفر مرات عدة ثم اشتعلت سماء مدينتنا بالشهب و الطلقات الخطاطة بالهواء فاختلط صوت الرصاص بالاستغاثات و الدعوات إلى الجهاد و سال دم الشهداء و الأهات.

لجأ المعتصمون إلى مقهى الفرح و أغلقوا الأبواب عليهم و نزل البعض درج قبو مبنى هاتف القوتلي و اختبأ البعض الآخر وراء أعمدة مبنى المحافظة و قصر العدل ثم تم اعتقالهم و جرهم من الساحة إلى قيادة الشرطة و لم تتم حمص تلك الليلة و لم انم.

عاودت الهواتف القلقة و هواتف القنوات الفضائية النزقة تستفسر عن الاعتصام .

فض الاعتصام

قلت حينها على الهواء إذا كان هناك مؤامرة فلا سبيل لقطع الطريق عليها و على الفتنة إلا بالحوار و مزيد من الانفتاح. و إن استنفار العصبية سيزيد من التعقيد في المشهد و الاستجابة لمطالب الشعب أقل كلفة من تجاهلها و تحل الكارثة في الإصرار على نكرانها و الاستهتار بها و إن العنف في أحسن حالاته يولد العنف المضاد في دورة قتل تحصد السوريين و تهدر دمائهم و في الساعة الرابعة و الربع بعد ظهر 19-4 عشرات الأشخاص يطوقون منزلي و يحاولون اقتحامه. كادت نهايتي تكون فيه لولا تدخل بعض الجيران الذين أجلوا أطفالهم بحر و نجم الذي كاد يسقط من أيديهم.

عندما وصلت دورية الأمن المشتركة و اعتقلنتي سألني أحد العناصر عن أسلحتي فأشرت إلى قلبي و لساني و أصرت زوجتي رويدا أن يفتشوا البيت قبل أن يذهبوا و على مدخل البناية كان العشرات يصفقون و يهتفون بحياة الرئيس !.....!